

المنكرون لعالمية الرسالة الإسلامية

الأستاذ المشرف. الدكتور أحمد الأزرقى

الاستاذ المشرف المساعد. الدكتور سيد رضا مؤدب

الطالب. عمر علي حسين العبيدي

جامعة قم/ كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية / فرع علوم القرآن والحديث

المخلص:

إنَّ الطريقة التي دخل بها الإسلام الى آسيا لم تكن تختلف عن الطريقة التي انتشر بها في افريقيا، فالإسلام قد انتشر في القوقاز^(١) وداغستان^(٢) عن طريق دعاة مسلمين كان في مقدمتهم الشيخ الشافعي ابو مسلمة، ثم ساعد ظهور الطريقة النقشبندية الصوفية^(٣) في اذكاء روح الدعوة الى الاسلام واستمرار إنتشارها، وساعدت أيضا القوافل التجارية القادمة من الصين في انتشار الاسلام في جمهورية جورجيا الروسية وما حولها من الأقاليم الاسلامية الأخرى^(٤)، ووصل الإسلام إلى الصين عن طريق الحملة التي قادها قتيبة بن مسلم الباهلي^(٥) سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م حين فتح (مدينة كاشغر)^(٦)، وتوقف الفتح الإسلامي في هذه الجهة بعد هذه الحملة نظراً لوفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك وانشغال

(١) القوقاز او القفقاز أو القفقاس أو بلال القبق منطقة جغرافية سياسية تقع عند حدود أوروبا و آسيا و هي موطن جبل في اوربا، جبل البروز، و غالباً ما يقسم القوقاز الى القوقاز الجنوبي و القوقاز الشمالي.
(٢) تعتبر داغستان منذ قديم الزمان موطناً عريقاً للزراعة وتربية الحيوانات. ونشأت أول دولة في أراضيها في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي دولة ألبانيا القوقاز التي كانت عبارة عن دولة متألّفة من ٢٦ دويلة واقعة في جنوب داغستان وشمال أذربيجان وكانوا أسلاف القوميات الناطقة باللغات الداغستانية القوقازية. وكانت تلك الدولة في مختلف مراحل تاريخها تقيم علاقاتها مع حكام إيران الساسانية والخلفاء المسلمون. وظل كيائها حتى القرن السابع عشر الميلادي حيث دمرها الروس.

(٣) الطريقة النقشبندية هي واحد من أكبر الطرق الصوفية والتي تنتسب إلى محمد بهاء الدين نقشبند واشتق اسمها منه، ومن ثم عرفت به، الطريقة النقشبندية هي الطريقة الوحيدة التي تدّعي تتبع السلسلة الروحية المباشرة مع نبي الإسلام محمد من خلال أبو بكر الصديق وبذلك تكون تلك الطريقة مرتبطة بطريق غير مباشر بسيدنا علي عن طريق جعفر الصادق.

(٤) محمود، سامي، انتشار الإسلام والدعوة الإسلامية، ص ٣٢.

(٥) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحُصَيْن الباهلي قائد إسلامي شهير قاد الفتوحات الإسلامية في بلاد آسيا الوسطى في القرن الأول الهجري.

(٦) كاشغر هي ولاية تقع في جنوب غرب سنجان في الصين، وتبلغ مساحتها ١١٢,٠٥٧ كيلومتر مربع، وعدد سكانها ٤,٤٩٩,١٥٨ عاصمة الولاية هي مدينة كاشغر التي يبلغ عدد سكانها ٥٠٦,٤٠٤٠ نسمة.

المسلمين بأحداثهم الداخلية، ورغم توقف الفتوحات الإسلامية في تلك المنطقة إلا إنَّ امتداد نور الإسلام لم يتوقف ولم تنطفئ جذوته، وهذا مما يؤكد وباستمرار إنه دين يكثر إنتشاره ويزداد عدد معتقيه عندما لا يكون هناك سيف، وعندما تضع الحروب أوزارها.

المقدمة

إنَّ كثيراً من المستشرقين كان لهم القلم المعادي للدين الإسلامي وللرسول محمد (صل الله عليه و آله و سلم) فقد وصفوا الدين الإسلامي بكثير من الخرافات التي تخالف منطق العقل البشري، فان بعضهم يعتقدون إنَّ الناس لم يدخلوا الدين الإسلامي حباً بالإسلام بل دخلوا الدين الإسلامي على أساس مصالح شخصية و معنوية، و بعضهم يرى إنَّ الدين الإسلامي لم يُنشر إلا بوساطة السيف و القوة و إنه دين دموي يقوم على اساس سفك الدماء و القتل و التهجير، و إنَّ المسلمين يحملون روح الوحشية أثناء الحروب، وإن الناس التي آمنت بالإسلام لم تكن موقنة بصحة هذا الدين، وإنما حملتها ظروف عديدة جبرتها على اعتناقه و ما يؤاد هذا الإتجاه المستشرق توماس ارنولد، و إنَّ مجداً لم يوجه دعوته منذ أن بعث الى أن مات إلا للعرب وحدهم، لذا فإنَّ الإستشراق الحاقد على الدين الإسلامي ما دام ينطلق في أبحاثه من النظرة القائمة على إن الإسلام ليس ديناً صحيحاً، وإنَّ محمد (صل الله عليه و آله و سلم) ليس نبياً مرسلأ، فمن خلال البحث في أقوال المستشرقين و موقفهم من عالمية الرسالة الإسلامية نجد كثيراً من الأتهامات التي وجهت الى الدين الإسلامي من قبل المستشرقين الناكرين لعالمية الرسالة الإسلامية سوف أسعى الى إستعراض اغلب الأقوال و من ثم يأخذ بنا المقام الى دراسة هذه الأقوال دراسة نقدية من خلال أدلة عملية عقلية رصينة.

١- المستشرقون المنكرون لعالمية الرسالة

هناك الكثير من المستشرقين الذين ينكرون أن يكون الدين الإسلامي دعوة عالمية؛ ويرى هؤلاء إنَّ سيدنا محمد(صل الله عليه و آله وسلم)بُعث الى العرب وحدهم، وإنَّ الرسالة الإسلامية كانت للأمة

العربية دون غيرها، ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق (وليم موير)^(١) الذي يقول: (إن فكرة عموم الرسالة جاءت فيما بعد، و إن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التي تؤيدها لم يفكر فيها محمد نفسه، وعلى فرض إنه فكر فيها فقد كان تفكيره تفكيراً غامضاً، فإنَّ عالمه الذي كان يفكر فيه انما كان لبلاد العرب، وإنَّ محمداً كانت بعثته الى العرب فقط دون غيرهم و هذا منذ بعث للناس فإنَّ نواة الاسلام تعود الى الظروف و الاحوال التي كانت يعيشها محمد)^(٢)، لهذا نجد إن المستشرقين حرصوا على دراسة الاسلام ولكن هذه الدراسة تكون بتأثير من الكنيسة التي دفعتهم ليكتشفوا عناصر القوة في الاسلام فيدعموا بها المسيحية، ويكتشفوا عناصر الضعف في المسيحية فيبلوها في الاسلام فيقول المستشرق (هومان استجل) في كتابه (عقائد الاسلام): (إننا يجب أن نكسب وجهات نظر جديدة لعقائدنا المسيحية بناء على فهمنا العميق للتعاليم الاسلامية، وفهمنا لنفسية المسلم المتدين وذلك حتى نتجنب نقاط الضعف، و حتى نبني من جديد دفاعاً جديداً عن العقيدة المسيحية، دفاعاً يضع في حسابه روح الاسلام والتطور الفكري للمسلمين فيما يتعلق بعقائدهم خلال ما يزيد على ألف عام^(٣))، لذا سوف أُبين أهم المواقف التي انكرها المستشرقين على الدين الإسلامي و من ثم ناقشها من اجل دراستها دراسة نقدية كما يأتي:

٤-١-١. الإسلام دين لشبه الجزيرة Journal of Quality Standards for Studies and Research

تباينت آراء المستشرقين حول حدود نشر الدين الإسلامية واختلفت آرائهم في هذا الموضوع فنجد إنَّ بعض المستشرقين استشكله أن يكون الدين الإسلامي لجميع الطوائف والفئات الإنسانية فوصف الدين الإسلامي بأنه دين محدود المعالم و لم يتخطه مكان نشره شبه الجزيرة العربية و هذا ما أكده المستشرق (كيتاني) فقال: (لم يتخط محمد بفكره حدود الجزيرة العربية ليدعو أمم العالم في ذلك الوقت إلى هذا الدين)^(٤)، لذا فيما يلي يسعى الباحث الى سرد آراء المستشرقين الذين اتهموا الدين الاسلامي

(1) وليم موير هو مستشرق ومبشر وموظف إداري إنجليزي، اشتغل في الإدارة المدنية لشركة الهند الشرقية فأمضى فترة طويلة في الهند.

(2) حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام، ج ١، ص ١٦٩

(3) الجندي، أنور، الاسلام في وجه التغريب، ص ٢١.

(4) أبو خليل، شوقي، الاسلام في قفص الاتهام، ص ٤٩.

بأتهامات كثيرة وفقاً لاتجاهاتهم وتعليماتهم لظاهرة انتشار الاسلام و من ثم يقوم الباحث بنقدها من خلال البحث العلمي النقدي فنجد صور لنا المستشرق Daniel, Norman op الدين الإسلامي بأنه مزيج مشوه مستقي من أصول مسيحية ويهودية تلقاها الرسول محمد(صل الله عليه وآله وسلم) من أساتذته أبحار اليهود ورهبان النصارى، وصور الاسلام أيضا صورة زندقة، و الاسلام هو فرقة منشقة عن الكنيسة^(١)، و نجد المستشرق Ibid وصف المسلمون بأنهم وحوش وأبناء شياطين، وأهل لواط، ومشركون يعبدون مجمعة من الأصنام الذي يضم الآلهة أبولو^(٢)، وأفلاطون، والمسيح الدجال^(٣).

لذا شكلت أوروبا هذه الصورة المعادية للإسلام من معارف إستقتها من مصادر بيزنطية واسبانية وأضافت إليها الخبرات المنحرفة التي جمعتها من الصورة البشعة التي جاءت مدونة في كثير من كتب المستشرقين الحاقدين على الدين الإسلامي منهم كتاب المقدس يوحنا الدمشقي^(٤) (JOHN OF DAMUSCUS) الذي عاش في عصر خلفاء بني أمية و اتهم الدين الإسلامي بأنه دين مخالف لما جاء به العقل^(٥).

فإنَّ المستشرقين الذين صاروا ينشرون مذكرات و كتب عن أحوال الشرق الإسلامي وتعميق ملامح الصورة المشوهة كثيرين و إنَّ من أشهر هؤلاء المستشرق Simon Someonis الايرلندي الذي زار فلسطين وحصل خلالها على نسخة من القرآن الكريم ثم نشر كتابا عن المسلمين وصفهم فيه بأنهم: وحوش، وخنازير، وأبناء شياطين ومحترفو لواط^(٦)، ومنهم المستشرق (James of Verona) الايطالي الذي هو الآخر كتب عن الاسلام واصفاً اياه بأنه(سورة مشوهة مخزية لتعاليم المسيحية) و أكد المستشرق بوليدور فيرجيل^(٧) الذي يعتبر إنَّ الاسلام نسيج مشوه مستقي من مصادر مسيحية و إنَّ

(١). Daniel, Norman, op. vit. pp. 208-9, 211. Also, See.

(٢) آلهة أبولو حسب ما كان يعتقد الإغريق هو إله الشمس، إله الموسيقى، إله الرماية.

(٣) Ibid, pp69-70.

(٤) Ibid, the Introduction. pp. 3-4

(٥) Ibid, the Introduction. pp. 3-4.

(٦) Southern, R. W. Op. cit. pp. 30, 38, 81, 94.

(٧) Southern, R. W. Op. cit. pp. 30, 38, 81, 94

إنَّ الرسول كان مصاباً بالصرع و إنَّ الإسلام انتشر بحد السيف وشيوعية المرأة^(١)، و وصف(ديدرو)^(٢) و هو الآخر من رجال التنوير الفرنسي و من كتاب الموسوعة الفرنسية يصف الرسول محمد (صل الله عليه و آله و سلم) بقوله:(بأنه قاتل رجال وخاطف نساء، وأكبر عدو للعقل الحر)^(٣)، أما فواتير الذي يعتبر النموذج الأمثل لرواد حركة التنوير فقد وصف الرسول محمد(صل الله عليه و آله و سلم) بأنه (مثير الفتن و دجال يدعي كذبة المناجاة مع روح القدس، ويزعم أنه صاحب رسالة كل سطر فيها ينم عن السخف الذي يناقض مبادئ العقل الأولى)^(٤).

تلك هي ملامح الصورة المشوهة القائمة التي تكونت في أوروبا عن الاسلام قبل القرن التاسع عشر، أما في القرنين التاسع عشر والعشرين فقد انتشرت في العالم الاسلامي مجموعة كبيرة من الأبحاث التي قام بها المستشرقون عن تاريخ الإسلام وحضارته وأصول عقائده ادعى فيها أصحابها أنها دراسات موضوعية تسم بروح البحث العلمي المجرد من أثر التعصب الديني وما تملبه النزوة والهوى والمحاباة العاطفية.

فالصورة المشوهة القائمة على الدين الإسلامية لا زالت قائمة في كلياتها، وإن طراً تغير جزئي على بعض تفاصيلها والدراسة التي تنكب الموضوعية والنزاهة لا زالت هي السائدة الغالبة، لذا ان الإستشراق لا يزال يعيش في عالم الافكار الجامحة التي كونتها أوروبا في فجر ولادتها الفكرية، فلا زال يدعو ثلاثة محاور: Journal of Quality Standards for Studies and Research

أولاً: لا يزال الإستشراق يدعي إنَّ الاسلام فيه معجزة و هذه المعجزة هي القرآن وإن القرآن كتاب فيه كثير من التناقضات و التضاربات و التدافعات ويقول كولد تسيهر^(٥) "ومن العسير أن نستلخص من القرآن نفسه مذهباً عقيدياً موحداً متجانساً وخالياً من التناقضات ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر

(١) Danial, Norman, op. cit. pp. 279.283.

(٢) Southern, R. W. Op. cit. pp. 30, 38, 81, 94

(٣) برنارد، لويس، العرب في التاريخ، ص ٢٩.

(٤) تسيهر، كولد، العقيدة و الشريعة في الاسلام، ص ٧٨-٨٩.

(٥) كولد تسيهر هو مستشرق يهودي مجري عُرف بنقده للإسلام و بجدية كتاباته، و من محرري دائرة المعارف الإسلامية، ولقد اشتهر بغزارة إنتاجه عن الإسلام حتى عد من أهم المستشرقين لكثرة إسهامه وتحقيقاته عن الإسلام ورجاله، متأثراً في كل ذلك ربما بيهوديته، وهو أبرز من قام بمحاولة واسعة وشاملة لنسف السيرة النبوية.

أهمية وخطراً إلا آثاراً عامةً نجد فيها إذا بحثنا في تفاصيلها أحياناً تعاليم متناقضة، ثم يستطرد ويقول: كان وحي النبي حتى في حياته معرضة لحكم النقاد الذين كانوا يحاولون البحث عما فيه من نقص، وكان عدم الإستقرار والطابع المتناقض البادي في تعاليمه موقع ملاحظات ساخرة^(١)، و نجد عند بعض المستشرقين إنَّ النبي محمد (صل الله عليه و آله و سلم) كانت أفكاره متناقضة و غير موحدة فنجد المستشرق لهوزن يقول: "يبرز في القرآن شأن القدرة الإلهية تارة وشأن العدل الإلهية تارة أخرى وذلك بحسب ما كان يحس به النبي دون مراعاة للتوازن بين الطرفين ولا يشعر محمد بما في ذلك من تناقض لأنه لم يكن فيلسوفاً ولا واضعاً لمذهب نظري في العقائد"^(٢)، في حين إنَّ المستشرق Adolf von Harnack (أدولف فون هارناك)^(٣) الذي يكاد يكون معاصراً لنا لم يعترف بالإسلام، واعتبره نوعاً من الهرطقة المسيحية^(٤)، وسعى إلى الطعن فيه في مناسبات شتى، فهذه الأفكار من ميراث القرون الوسطى، ومن المؤسف إن مثل هذه التصورات الخاطئة تبقى لوقت طويل في ذاكرة الأفراد"^(٥)، الأفراد"^(٥)، فلا يزال الإستشراق يزعم بأن الإسلام نسيج أستمدته الرسول (صل الله عليه و آله و سلم) من المصادر اليهودية والمسيحية، فيقول المستشرق برنارد لويس^(٦): "روايته (أي الرسول عليه السلام) لقصاص الكتاب المقدس توحى بأنه معرف به من طريق غير مباشر، وربما كانت عن طريق التجار والرحالة اليهود والنصارى الذين كانت أخبارهم متأثرة بالمؤثرات وكتب الأساطير اليهودية"^(٧)، ويصف المستشرق تور اندريه فيقول^(٨) إنَّ أصول الدين الإسلامي التي جاء بها محمد منشقة من الديانات الديانات المسيحية و اليهودية"^(٩)، إذ يصف بعضهم فيقول إنَّ افكار النبي محمد كانت من اليهود و

(١) تسيهر، كولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٧٨.

(٢) يوليوس، ولهوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص ٢٠.

(٣) عالم أديان بروتستانتي توفي سنة ١٩٣٠م.

(٤) الهرطقة المسيحية يطلق عليها أيضا الزندقة، هي تغيير في عقيدة أو منظومة معتقدات مستقرة، وخاصة الدين، بإدخال معتقدات جديدة عليها أو إنكار أجزاء أساسية منها

(٥) عيد، ثابت، حوار صحفي بينها، ص ١٠.

(٦) برنارد لويس هو مؤرخ أمريكي بريطاني متخصص في الدراسات الشرقية.

(٧) أسد، محمد، الطريق الى مكة، ص ٢٠.

(٨) تور اندريه هو مستشرق سويدي، سمي أستاذاً للعلوم الدينية في جامعة ستوكهلم.

(٩) أسد، محمد، الطريق الى مكة، ص ٢٠.

المسيح فيقول أندرسون "ليس من شك في إنَّ محمداً اقتبس أفكاره من مصادر التلمود^(١) و كتب الأساطير اليهودية والمصادر المسيحية"^(٢)، و يوضح بعضهم إن افكار النبي محمد (صل الله عليه و آله و سلم) كانت سطحية في الديانات السابقة للدين الإسلامي ويقول بروكلمان^(٣) "وليس من شك في أن معرفته(أي الرسول صل الله عليه و آله و سلم) بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية إلى أبعد الحدود، وحافلة بالإخطاء وقد يكون مدينا بعض هذه الأخطاء الاساطير اليهودية التي يحفل بها القاص التلمودي ولكنه مدين بذلك ديننا أكبر المعلمين المسيحيين الذين عرفوه بأنجيل الطفولة^(٤)."

ثانياً: لا يزال الإستشراق يعمل من أجل هدم السيرة النبوية والتشكيك في مصادرها، اذ يقول المستشرق نيكلسون^(٥): "إنَّ الحقيقة المجردة هي "أن محمداً كل ما روي عن حياته لا يمكن اعتباره حوادث تاريخية"^(٦)، و يقول المستشرق تور اندريه^(٧): "لا نعرف بالضبط متى ولد محمد وأكثر ما جاءنا عن حياته الأولى معلومات اسطوري"^(٨)، ويقول المستشرق برنارد لويس^(٩): "لا يُعرف الا القليل عن نسب محمد، و إنَّ اخبار الاسلام متناقضة المضمون"^(١٠).

(١) التلمود هو النص المركزي لليهودية الحاخامية والمصدر الأول للشريعة الدينية اليهودية (الهلاخة) واللاهوت اليهودي.

(٢) Anderson J. N. D. The World 1950, The Article on Islam, pp. 7-8. 54, 56, 58, 59

(٣) بروكلمان هو من أشهر آثار المستشرق الألماني.

(٤) إنجيل الطفولة هو إنجيل سيرة يروي قصة طفولة يسوع، يُعتقد أنه مكتوب في نهاية القرن الثاني الميلادي، وهو ليس معدوداً في ضمن القانون الكنسين يُعتقد أن إنجيل الطفولة سفرًا غنوصياً، اذ اعتبر المسيحيون الأوائل إنجيل الطفولة لتوما هرطقة وسفرًا غير موثوق.

(٥) نيكلسون هو أحد أبرز ممثلي السينما الأميركيين في جيله، ويشتهر بأدواره المتنوعة وغير التقليدية

(٦) Nicholson, R. A. "Aliterary History of the p, 148.

(٧) هو مستشرق سويدي، سمي أستاذا للعلوم الدينية في جامعة ستوكهلم، ومن آثاره «النصرانية: الدين الكامل؟» و «أنا أو من بالله» و «محمد حياته وعقيدته».

(٨). Andraue, Tor. op. cit., P.31

(٩) برنارد لويس هو من مواليد لندن ببريطانيا، هو أستاذ فخري بريطاني-أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة جامعة برنستون، وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب وتشتهر خصوصا أعماله حول تاريخ الدولة العثمانية.

(١٠) لويس، برنارد، العرب في التاريخ، ص ٤٤ .

ثالثاً: إنّ للوحي المحمدي صوراً وهميةً وظناً وخيالاً اذ يقول بروكلمان^(١) "عند كلامه عن الوحي أعلن (أي الرسول) ما ظن أنه قد سمعه كوشي من الله"^(٢).

ونجد إنّ المستشرقين بدلاً من أن يحاولوا النفاذ بصدق وإخلاص و تجرد الى عمق الخبرة الدينية للرسول محمد (صل الله عليه و آله و سلم) ممثلة في القرآن، إكتفوا كما يقول الأستاذ أثر جون آربري^(٣) في(مقدمة ترجمته للقرآن الكريم) بتحليل سطحي لمحتوياته واتبعوا في ذلك طريقة التقطيع والتمزيق لتعاليم الدين الاسلامي، ليخرجوا من ذلك كله إلى القول بأنه كتاب فيه تضارب وتدافع وعدم إنسجام وإن ما جاء فيه لا يقوى أن يكون مذهباً عقدياً قويم^(٤).

فيما يتعلق بما ورد اعلاه يمكننا أن نستنتج إنّ العجيب في أمر هؤلاء المستشرقين وغالبيتهم من المبشرين إنهم لم يحاولوا كما يقول الأستاذ محمد البهي^(٥) في كتابه (الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار)في أن يتشككوا أو يجرحوا في وحي نبي الله عيسى (عليه السلام) باسم المنهج العلمي نفسه، بل صانوه وأقاموا الدعوى على انه بديهي التسليم وبعيد عن مجال الجدل العقلي النظري أو العلمي التجريبي، فاذا كان الوحي كأمر غير اعتيادي يخضع للطريقة العلمية، أفلا يقضي المنطق السليم أن يكون انواع الوحي في ذلك سواء.

٤-١-٢. تشكيك المستشرقين بعالمية الدين الإسلامي

حين التمعن في افكار و ابحاث المستشرقين الحاقدين على الشريعة الإسلامية نجد انهم يقذفون الدين الإسلامي في كثير من الاتهامات الباطلة التي لا صحة و لا اعتبار لها فمن من هؤلاء

(١) بروكلمان مستشرق ألماني وأكبر باحث عرفته الجامعات الاوربية في النصف الأول من القرن العشرين، بمجال تاريخ التراث العربي والدراسات السامية، كما حصل كارل بروكلمان على الدكتوراه من جامعة ستراسبورغ في عام ١٨٩٠، وعمل أستاذاً جامعياً في جامعات برلين، ونشر له كتب مثل: نحو السريانية وآدابها ١٨٩٩م، والمعجم السرياني ١٩٢٨م، وكتاب تاريخ الأدب العربي ١٨٩٨.

(٢) كارل، بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، الترجمة العربية، ج ١ ص ٦٠.

(٣) جون آربري مستشرق بريطاني اختصّ في التصوّف والأدب الفارسي.

(٤) برنارد، جورج، العرب في التاريخ، ص ٥٠.

(٥) الدكتور محمد البهي يعد أحد أساتذة شيخ الأزهر الذين شكلوا عقليته وأخذ منهم أفكاره، وهو أول رئيس لجامعة الأزهر بعد إقرار القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١، وثاني وزير للأوقاف وشؤون الأزهر (عين في هذا المنصب في ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢) في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

المستشرق توماس ارنولد^(١) الذي يقول: (إنَّ رسالة الاسلام كانت مقصورة على بلاد العرب، و إن العالم أجمع لم يكن نصيبا له فيها، ولكي تكون هذه الدعوة عامة، وتحدث أثرها المنشود في جميع الناس وفي جميع الشعوب، نراها تتخذ صورةً عمليةً في الكتب التي قيل إنَّ مجدا بعث بها في السنة السادسة من الهجرة (٦٨٨ م) إلى عظماء وملوك ذلك الزمان^(٢)).

ف نجد بين بعض المستشرقين الحاقدين على الدين الإسلامي يرون بأن الناس التي آمنت بالدين بالإسلام إنها لم تكن موقنة بصحة هذا الدين، وإنما حملتها ظروف عديدة جبرتها على إعتناقه وما يؤيد هذا الاتجاه المستشرق (فيليب حتي)^(٣) إذ قال (إنَّ الإسلام الذي فتح أراضي الشمال لم يكن الدين بل الدولة، والعرب الذين فاجأوا العالم وانقضوا عليه إنما كانوا مدفوعين بعامل قومي، فالغزوة الأولى كان للقومية العربية لا للدين الإسلامي)^(٤)، ويقول المستشرق (توماس سمث)^(٥) إذ يتحدث عن البواعث البواعث التي حملت الناس على الدخول في الإسلام في عهد الأتراك إذ يقول: (من المحزن أن نحصي هذا العدد الضخم من القوم الذين انقلبوا أتراكا فأسلم فريق بدافع اليأس البالغ وقد عجزوا عن احتمال عبء العبودية وتجنب سفاهات الكفار واهانتهم وأسلم فريق آخر نتيجة مهزلة سقيمة هوجاء ليتبوؤوا مكانة يملكون بها ناصية الحكم وينزلون الاهانة بغيرهم من الناس، وأسلم فريق آخر تخلصا من ألوان العقاب والبلاء جزاء ما ارتكبوه من جرائم ولكي ينعموا بالحريات التي تتطوي على الوحشية والتي قدسها محمد باعتباره مثلا اقتدى به أتباعه، فهذه هي البواعث والأسباب الهامة المغربية التي

(١) توماس ارنولد هو مؤرخ، ومدرس، وعالم عقيدة، وأستاذ جامعي من المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى أيرلندا.

(٢) عابدي، حسن ابراهيم وعبد المجيد، الدعوة إلى الاسلام، ص٤٨،٤٨.

(٣) فيليب حتي ولد الدكتور فيليب حتي العام ١٨٨٦ في بلدة شمالان، قضاء عاليه. تلقى علومه الابتدائية تحت سنيانة سيدة المعونات في بلدته. ثم درس في مدرسة سوق الغرب في مدرسة الأميركان؛ وأكمل دراسته في الكلية السورية البروتستانتية (الجامعة الأميركية لاحقاً) في بيروت، حيث أحرز العام ١٩٠٨ شهادة البكالوريوس، ومارس مهنة تدريس التاريخ في الجامعة نفسها حتى العام ١٩١٢، بعدها غادر بيروت إلى الولايات المتحدة الأميركية حيث تابع إختصاصه العالي، ونال شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا العام ١٩١٥، ثم عمل في الجامعة نفسها حتى العام ١٩٢٠.

(٤) حتي، فيليب، تاريخ العرب، ص١٩٧.

(٥) توماس سمث هو سياسي، ومحامي، وقاضي، من الولايات المتحدة الأمريكية، ولد في اسكتلندا، توفي في فيلادلفيا، في فيلادلفيا، بنسلفانيا، عن عمر يناهز ٦٤ عاماً.

دفعتهم إلى هذا الارتداد عن الدين^(١)، اما (مارشال هودجسون)^(٢) فيقول: (هناك ضغوطات اجتماعية ربما أدت الى التحول الى الاسلام فالرجال ربما تحولوا الى الاسلام لرغبتهم في الزواج من فتيات مسلمات اللاتي لم يكن يسمح لهن بوساطة الشريعة أن يتزوجن من المختلفين عنهن في الدين، والنساء ربما أصبحن مسلمات من أجل الحاجة الى الزواج من المسلمين الذين لهم الحق في أن يتزوجوا من مسيحية أو يهودية)^(٣).

فإنَّ المستشرقين يعتقدون إنَّ الناس لم يدخلوا الدين الإسلامي حياً بالأسلام بل دخلوا الدين الإسلامي على أساس مصالح شخصية و معنوية.

و بين بعض المستشرقين إنَّ الدين الاسلامي دين مبني على سفك الدماء، إنَّ هذا الاتجاه من المستشرقين الحاقدين على الدين الاسلامي يبين إنَّ الدين الاسلامي يقوم على أساس السيف و القتل و الذبح بين الناس، اذ هذا الإتجاه يقوم على إتهام الاسلام بأنه دين انتشر بالقوة، واعتمد على السيف، دون تعليل هذا الاتهام، وكمثال لهذا الاتجاه أورد ما يقوله (نلسون)^(٤) (واخضع سيف الإسلام شعوب افريقية و آسية شعباً بعد شعب)^(٥)، و قال (ماكدونالد)^(٦): (إن نشر الاسلام بالسيف فرض كفاية على المسلمين كافة)^(٧).

اما (هاري اليس) اذ يقول: "ولم يكن السيف وحده قوام الدعوة بل كان كثير من أبناء البلدان المفتوحة يقبلون على الاسلام لتفضيلهم اياه على عقائدهم أو لأن الدخول في الاسلام يرفع عنهم الضرائب التي تجبى من غير المسلمين)^(٨)،

(١) اردولد، توماس، الدعوة الى الاسلام، ص ١٩٣.
(٢) مارشال هودجسون أكاديمي ومؤرخ في جامعة شيكاغو، قسم الدراسات الإسلامية، تم تجنيده في الحرب العالمية الثانية ولكنه رفض القتال وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة شيكاغو.

(٣) THE VENTURE OF ISLAM "HODGSON".

(٤) نلسون هو مناضل من جنوب افريقيا، حارب نظام التفرقة العنصريه اللى كان موجود فى جنوب افريقيا.

(٥) فروخ، عمر، التبشير و الاستماع، ص ٤١.

(٦) ماكدونلد (Duncan Black MacDonald) (هو مستشرق أميركي، ولد في غلاسكو وكان شديد التدين بالنصرانية، له عدة مؤلفات أهمها "تطور الدولة والفقه والكلام في الإسلام".

(٧) ماكدونالد، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ٧ ص ١٨٨.

(٨) العقاد، عباس محمود، الاسلام والحضارة الانسانية، دار الكتب اللبنانية، بيروت، ص ٢٨٩.

وما ورد في كتاب تاريخ محاضرات الشرق الأدنى للمستشرق (ج. بلزاك) ^(١) اذ يقول: (وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف اذا اقتضت الضرورة) ^(٢)، و اوضح (جون هيجل) ^(٣) (هيجل) ^(٣) فقال: (كان الاسلام دائماً وسيبقى دائماً دين السيف لأنه لا يمكن العثور على أي فكرة للحب للحب في القرآن) ^(٤).

لذا نجد إنَّ النتيجة التي لم تكن متوقعة لدى أعداء الاسلام، فلقد كانت النتيجة مرة ومذهلة، عبر عنها أحد قادة الحروب الصليبية (لويس التاسع) ^(٥) بقوله: (لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين إلا عن طريق الحرب أو القوة، وذلك لأن في دينهم (عاملاً حاسماً) ^(٦)).

فيذهب بعض المستشرقين الى إنَّ الدين الاسلامي غايته فقط توحيد الأمة و ينكر إنَّ الدين الاسلامي غايته نشر قول لا اله الا الله محمد رسول الله (صل الله عليه و آله و سلم) اذ إنَّ هذا الاتجاه يرى في فكرة الجهاد الإسلامي أنها وسيلة لوحدة الأمة الاسلامية وأنها مع هذا مصدر خطر على الأمم الأخرى، اذ تقول (الدكتورة وهبة الزحيلي) ^(٧): (قابلت المستشرق الانجليزي (اندرسون) ^(٨) في ٣ حزيران (١٩٦٠م) فسألته عن موضوع الجهاد فقال إن الجهاد اليوم ليس بفرض بناء على مثل قاعدة (تغيير الأحكام بتغيير الأزمان) إذ إن الجهاد في رأيه لا يتفق مع الأوضاع الدولية الحديثة لارتباط

(١) ج. بلزاك وهو كتاب يدرس لطلاب في المدارس الفرنسية في بيروت.

(٢) أبو خليل، شوقي، الإسلام في قصص الاتهام، ص ٨٦.
 (٣) يعتبر هيجل أحد أهم الفلاسفة الألمان، حيث يعتبر أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن الثامن عشر الميلادي، طور المنهج الجدلي الذي أثبت من خلاله أن سير التاريخ والأفكار يتم بوجود الأطروحة ثم نقيضها ثم التوليف بينهما، والتوليف بأنه عملية تكوين روابط جديدة بين المواد المتفاعلة لتشكيل منتج جديد، يكون مختلف تماماً عن المواد المتفاعلة للتفاعل.

(٤) من مقال للكاتب PAUL HARVEY « في صحيفة ADVERTISER THE DAILY - عدد الخميس ١٥ يناير سنة ١٩٨١م.

(٥) لويس التاسع من فرنسا في ٢٥ أبريل ١٢١٤ في بواسي بالقرب من باريس. كان والده لويس الأسد ملك فرنسا وكانت والدته بلانش من قشتالة الإمبراطورة.

(٦) العقاد، عباس محمود، الإسلام دعوة عالمية، ص ١٢٢.

(٧) الدكتورة وهبة الزحيلي أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة من سوريا في العصر الحديث، عضو المجامع الفقهية بصفة خبير في مكة وجدة.

(٨) اندرسون مخرج ومؤلف ومنتج أمريكي، ولد في ١ مايو ١٩٦٩ في هيوستن، تكساس، بدأ مسيرته الفنية بكتابة وإخراج الفيلم القصير (Bottle Rocket) عام ١٩٩٤. اشتهر بإخراج العديد من الأعمال، مثل (Fantastic Mr. Fox) عام ٢٠٠٩.

المسلمين بالمنظمات العالمية والمعاهدات الدولية و إن الجهاد الآن يتناقض مع ميثاق الأمم المتحدة وشريعة حقوق الانسان ولذلك فانه لا يتفق مع روح العصر^(١).

و يرى بعض المستشرقين أن تحمس العرب في فتوحاتهم كان بسبب ما يعانیه هؤلاء في جزيرتهم من فاقة وجوع وحرمان، و إنَّ السبب الكامن وراء خروجهم من جزيرتهم هو طمعهم في ثروة القياصرة والأكاسرة، ويلحق بهذا الاتجاه ما يذهب اليه مستشرقون آخرون من إن أهل الذمة أسلموا لا اقتناعاً بالاسلام ولكن فرارا من دفع الجزية، كما يلحق بهذا الاتجاه أيضا آراء أخرى ترى إنَّ العلاقات التجارية بين المسلمين وغيرهم من الأمم الأخرى كانت عاملاً هاماً وراء إسلام الكثير من الكفار الذين تعينهم هذه العلاقات اذ يقول(توماس ارنولد): (إنَّ الدين الاسلامي هو المسار الوحيد للمسلمين في الحصول على غنائم كثير)^(٢)، و بين(دوزي) (فقد كان المعروف إنَّ أوامر الدين تسقط الجزية في الحال عن يسلم من الذميين الذين في دار الاسلام مسيحيين كانوا أم يهودا ولا تحبي هذه الجزية الا ممن بقي على دين أسلافه فكان من جراء هذا الطعم الذي يزكيه الطمع)^(٣).

و يتبين لنا من خلال ما تقدم إنَّ الدين الاسلامي هو دين السلام و الأمن و الحب و المساعدة بين الناس بعكس ما ذهب اليه بعض المنكرون للدين بانه دين دموي و هذا ما سوف اثبته ان شاء الله من خلال رد جميع هذه الشبهات في المطالب المتقدمة من هذا الفصل ان شاء الله.

Journal of Quality Standards for Studies and Research

٤-١-٣. انكار المستشرقين عالمية الرسالة الإسلامية

أن الإستشراق الحاق على الدين الإسلامي ما دام ينطلق في أبحاثه من النظرة القائمة على إن الاسلام ليس ديناً صحيحاً، و إنَّ محمداً ليس نبياً مرسلأ^(٤)، فالمقصود من افكار المستشرقين المنكرون للدين الإسلامي هو بلبلة أفكار المسلمين وغيرهم حول الاسلام اذ يقول المستشرق كوفين^(٥) من جامعة واشنطنون في كلام له حول الاسلام: (إن الشريعة الاسلامية التي دان بها وقدها مائتان

(١)توماس اردولد، الدعوة الى الاسلام، ص٥٥.

(٢)توماس اردولد، الدعوة الى الاسلام، ص٦٤.

(٣)عبد الحفيظ الدوزي، تاريخ مسلمي اسبانية، ص١٣٨.

(٤) SECOND CRITIQUE OF ENGLISH-SPEAKING ORIENTALISTS TIBAWI - LONDON - 1979 AL

(٥)كوفين هي مدينة تقع في الولايات المتحدة في إلينوي. يقدر عدد سكانها بـ ٧٠٩ نسمة.

وثلاثة وثلاثون مليوناً من الناس قد حفظت في تضاعيفها شروراً اجتماعية تنم منها الإنسانية ومع هذا قدست الشريعة هذه الشرور باسم الدين^(١).

فالكثير من المستشرقين ممن ينكرون أن يكون الإسلام دعوة عالمية يرون إن محمد (صل الله عليه و آله و سلم) بعث إلى العرب وحدهم، و إنَّ الرسالة الإسلامية كانت للأمة العربية دون غيرها^(٢)، فنجد إنَّ عمل المستشرقين كان عن طريق فتنة المسلمين مادياً من خلال طريق اغراء الفقراء منهم بتقديم المعونات الصحية والتعليمية وغير ذلك من الأشياء و التي يمكن لها أن تجعل المسلمين أداة طيعة في أيديهم يفعلون بهم ما يشاؤون فقد تكفلوا برسم الخطط والأساليب لاغراء المسلمين، وذلك من طريق دراسة كل ما يتعلق بأحوال المسلمين من عقيدة وثقافة وحضارة وكل ما له صلة بالإسلام والمسلمين، حتى يستطيعوا من خلال ذلك أن ينفذوا ما اقترحوا، أي يزيقوا المفاهيم والقيم الإسلامية، ويجعلوها عديمة الجدوى في محاولة نهائية عن شخصيته وكيانه المسلم، إذ يقول صمويل زويمر^(٣) أحد أقطاب التبشير المسيحي في العالم: (ليس غرض التبشير المسيحي وسياسته ازاء الإسلام هو اخراج المسلمين من دينهم ليكونوا مسيحيين، أن المسلم لا يمكن أن يكون مسيحياً مطلقاً، والتجارب دللتنا ودلت رجال السياسة على استحالة ذلك، ولكن الغاية التي نرمي إليها إنما هي اخراج المسلم من الإسلام فقط ليكون ملحداً أو مضطرباً في دينه، وعندها لا يكون مسلماً ولا تكون له عقيدة يدين بها، عندها يكون المسلم ليس له من الإسلام إلا اسم أحمد، والملحد هو أول من يحتقر الإسلام^(٤)، إذ نجد المستشرق كيتاني يقول: (لم يتخط محمد بفكره حدود الجزيرة العربية ليدعو أمم العالم في ذلك الوقت إلى هذا الدين)^(٥)، و أوضح المستشرق كارل بروكلان^(٦) فقال: (ولقد بعث محمد إلى العرب قبل كل شيء، ولكن

(١) علي، محمد كرد، الإسلام والحضارة العربية، ج ١، ص ١٥.

(٢) العسقلاني، الحافظ ابن حجر، فتح الباري، ج ٢، ص ٧٩.

(٣) صمويل مارينوس زويمر هو لاهوتي أمريكي أطلق عليه اسم الرسول إلى الإسلام حيث كان يقود حملة تبشيرية للديانة المسيحية في المنطقة العربية وخصوصاً في العراق، والبحرين، ومصر، ولاقى رفضاً كبيراً في المنطقة العربية من المسلمين والمسيحيين.

(٤) الجندي، ابور، الإسلام والثقافة الغربية، ص ١٦.

(٥) الجندي، ابور، الإسلام والثقافة الغربية، ص ١٦.

(٦) كارل بروكلان أكبر باحث عرفته الجامعات الأوروبية في النصف الأول من القرن.

ولكن كان على دينه الاسلام أن يعمل أحياء لملة ابراهيم الخالصة، التي حرفها اليهود والنصارى، ونشروها في أرجاء العالم كله، وليس من الميسور أن نقرر على وجه الدقة ما اذا كان النبي نفسه قد إستشعر أنه مدعو لمثل هذه الرسالة العالمية^(١)، و أوضح المستشرق برنارد لويس^(٢) فقال: (لا يعرف الا القليل عن نسب محمد و أوائل حياته، بل إنَّ هذا القليل قد أخذ يتناقص شيئاً فشيئاً كلما تقدم البحث الأوربي وأثار شبهة أخرى حول المادة المضمنة في الأخبار الاسلامية)^(٣)، و قد تناول الفكر الحقد لدى المستشرقين فقال توراندرية^(٤): (إن أفكار محمد غير متجانسة وغير منسجمة ومضطربة أشد الاضطراب)^(٥).

هذه نماذج بسيطة جدا من أقوال كثيرة إمتلأت بها مؤلفات المستشرقين، وهي لم تصدر أبدا الا بدافع حقد صليبي غرسته الكنيسة في قلوب هؤلاء الباحثين منذ الصغر حتى شبوا كارهين لهذه الشريعة، وحاملين لواء الحرب ضدها،

والا فإنَّ هذه الآراء التي يعوزها المنطق الصحيح، والبرهان الدامغ وتكذبها الحقائق التاريخية التي سطرت تاريخ كل الأديان السابقة، وهذا القول ليس من باب التعصب للإسلام، ولكنه ايراد لشيء واقع أحس به كل متتبع لأبحاث الغربيين عن الاسلام، واعترف به الغربيون أنفسهم في العديد من المناسبات ويمثلها جمهور المستشرقين نراهم ينكرون بجزم وتوكيد أن تكون رسالة الإسلام ودعوته دعوة عالمية خارقة للحدود الإقليمية بتكليفاتها وتشريعاتها الملزمة بالاتباع لمن بلغته؛ ومن ثم يقول جول تسهير^(٦): (لكي نقدر عمل محمد من الوجهة التاريخية، ليس من الضروري أن نتساءل عما اذا كان تبشيره ابتكارا وطريفا من كل الوجوه ناشئا عن روحه، وعما اذا كان يفتح طريقا جديدا بحثا،

(١) علي، محمد كرد، الاسلام والحضارة العربية، ج ١، ص ١٥.
(٢) برنارد لويس هو من مواليد لندن ببريطانيا وهو أستاذ بريطاني وأمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون وتخصص في تاريخ الإسلام، وتشتهر أعماله حول تاريخ الدولة العثمانية.
(٣) عبد الحميد، عرفان، المستشرقون والاسلام، ص ١٦.
(٤) توراندرية هو مستشرق سويدي، سمي أستاذا للعلوم الدينية في جامعة ستوكهلم.
(٥) عبد الحميد، عرفان، المستشرقون والاسلام، ص ١٦.
(٦) جول تسهير وهو أبرز من قام بمحاولة واسعة وشاملة لنسف السيرة النبوية.

فتبشير النبي العربي ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرا عميقاً^(١).

فمن خلال استعراضنا لما تقدم لا بد لنا من رد شبهات المستشرقين من خلال المنهج العلمي فيقتضي بنا المقام تناول هذه الشبهات بالرد والمناقشة العلمية الرصينة التي تقوم على اساس علمي منهجي اسلامي، من خلال نقاط عديدة كما يأتي:

٤-١-٣-١. البرهان العقلي على عالمية الرسالة الإسلامية

أكدت الشريعة الإسلامية بأن الدين الإسلامي ينطلق من براهين و أدلة عقلية منطقية دالة على عالمية الدين الاسلامي^(٢) ودعوته الانسانية مستندين في ذلك إلى التشريع الاسلامي الاصيل المتمثل بالقرآن والسنة الشريفة ليتجدد بها المسلم في حياته العملية فيُحْبَط منهج الضلال الذي يراد له، وبهذا نكون قد حصنا أنفسنا من الخداع والضلال وبيننا للعالم المنهج الاسلامي الداعي إلى الانسانية والعدالة والهدى بخلاف مناهج الضلال المتمثلة بالشعارات المخالفة للخطط السرية والأعمال الخارجية^(٣).

فنقول مستعنيين بالله سبحانه وتعالى إنَّ الاسلام هو النظام العالمي الذي يمكن أن تعيش البشرية بظله وتصل إلى ساحل العدالة والحقيقة بعيداً عن الظلم والاستعباد من دون فرق بين جنس وجنس وعالم وجاهل وصغير وكبير وغني وفقير، فإن معالم الدين الاسلامي عالميته لأنه يخاطب الناس بإنسانيتهم، وهذا لا يعني إنَّ عالمية الرسالة والدين يكفي فيها توجيه النداءات إلى الناس أجمعين مثل قوله تعالى عند ما خاطب نبيه بقوله وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(٤) وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٥)، و قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله): (يا أيها الناس إنَّ ربكم واحد وإنَّ أباكم واحد كلكم لآدم و آدم من تراب أكرمكم

(١) عبد الحميد، عرفان، المستشرقون والاسلام، ص ١٦.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، لكافي، ج ١، ص ١٦.

(٣) عبد الحميد، عرفان، المستشرقون والاسلام، ص ٤٥.

(٤) سورة النساء: آية ١

(٥) سورة الحجرات: آية ١٣

عند الله أتقاكم، ليس لعربي على أعجمي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى^(١)، وقول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله): (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى)^(٢).

فينكشف لنا إنَّ التأكيد على عالمية الاسلام لا معنى له لمن توغّل وتضلّع في نصوص الشرع المقدّس إلا أن تأكيده مهم وحيوي لمن عاش تشويهات أعداء الاسلام في تنفيذ مخططهم في تشويه الدين الاسلامي فجعلوه مرّة عربياً ومرّة فارسياً ومرّة إرهابياً ومرّة عنصرياً و مرّة دمويّاً، وهكذا فلا بدّ لنا من الإجابة على هذه الأشكالات، ولا بدّ من الإجابة عليه من صميم الدين لا من التراث الذي كتبه علماء الاسلام وإن كان التراث الاسلامي له كاشفية عن نصوص الدين إلا أن الجواب عليه من نصوص الشريعة (القرآن والسنة) هو الأفضل والأكمل^(٣).

لذا من خلال بحثنا وجدت إنَّ هناك دعوات عبّرت عن نفسها أنها عالميّة (كالرأسماليّة والشيوعيّة والاشتراكيّة) إلاّ إنها لم تكن عالميّة أبداً لأنها مادّيّة كفرت بالإنسان يوم جردته من مصدر عظّمته وهو جانبه الروحي وهو مصدر انسانيته الوحيد، وإذا لم تكن انسانية لم تكن عالمية فالاسلام اعترف بالإنسان واعترف بالجانب الروحي له وأشبع حاجاته الروحية كما أشبع حاجاته الجسميّة المادّيّة، فهو دين الانسان المكوّن من الروح والجسم إذن هو دين عالمي^(٤)، وقد ذكر الدين الاسلامي معالمه العالية وهي :

١- الدين الاسلامي دين العقل: والعقل موجود في كلّ الناس، فلم يقيد العقل كما في بعض الأديان السابقة على الاسلام حيث كان العقل محكوماً لا يتمكن أن يقول قولته فثارت المشكلة في العالم الغربي لهذا الاتجاه فرفض ذلك الدين وأصبحت الثورة ضدّه، وكان من الواجب أن تكون الثورة ضدّ من نادى بتقييد العقل وهو غير الدين، بل بعض من ينتمي إليه ممن لم يهضم ذلك الدين، فمن هذا القبيل نجد كثير من الآيات القرآنيّة التي تبين دور العقل قال تعالى: ﴿أَنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

(١) الأميني، الغدير، ج ١١، ص ٣٧٧.

(٢) الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ص ٣٢٧.

(٣) ابن راهويه، إسحاق، مسند ابن راهويه، ج ١، ص ٦.

(٤) كرجي، أبو القاسم، تاريخ فقه وفقها (فارسي)، ص ٣٦.

يَعْقُلُونَ ﴿١﴾، و قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢)، و قوله تعالى: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣)، و قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (٤)، فجاء في تفسير كنز الدقائق (ليتفكروا فيها) (٥)، وقال الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم : "يا هشام إن الله على الناس حجتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة وأما الباطنة فهي العقول) (٦)، فإنَّ عالمية الدين من حيث أنه يخاطب الناس بإنسانيتهم كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧) فالاسلام يتجاوب مع الفطرة فلا ينكرها ولا يحرفها فهو يقول : الدين من شؤون الفطرة الانسانية، وأن هذا الدين ليس هو إلا التوحيد الخالص، وهو الدين القيم على الحياة (٨).

١- قد أعطى الاسلام الغرائز حقها، فلم يطلقها ولم يعقلها، بل أعطاها حقها وهذا هو حق الانسان.

٢- الدين الاسلامي هو دين غايته هو إكتشاف العالم الخارجي، فقد حثَّ الاسلام على إكتشاف هذا العالم المادي الذي هو مجال كفاح الانسان وزدهاره وتفتح طاقاته، ونبذ أن يكون الانسان متقوقعاً على نفسه جامداً هارياً من محيطه كالدعوات الانهزامية المبتعدة عن المجتمع كالمسيحية التي اعتبرت العالم الخارجي شراً ورجساً (٩)، وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ (١٠)، إن هذه الآية تقول بأن السير في الأرض والنظر في آثار الماضيين يفتح العقول والعيون، وينير القلوب

(١) سورة النحل: آية ١٢

(٢) سورة الجاثية: آية ١٣

(٣) سورة إبراهيم: آية ٨٢.

(٤) سورة ص: آية ٢٩

(٥) مالكي، محمد العلوي، الإستشراق للسابعي، ص ٦.

(٦) البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ١٣٠.

(٧) سورة الروم: آية ٣٠

(٨) السبزواري، عبد الأعلى، مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام، ج ٨، ص ٣٩.

(٩) الجواهري، حسن، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٤، ص ١٣٢.

(١٠) سورة العنكبوت: آية ٢٠

والأفئدة، ويتخلص الإنسان من الجمود والركود، وقد أشار الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى هذه الحقيقة في كلمات وخطب عديدة منها قوله: " فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله ورسولاته، ووقائعه ومثلاته واتعظوا بمثاوي خدودهم، ومصارع جنوبهم واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر، واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال، وذميمة الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم فإذا تفكرتم في تفاوت حالهم فالزموا كل أمر لزمتم العزة به شأنهم وزاحت الأعداء له عنهم، ومدت العافية به عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلم من الاجتناب للفرقة واللزوم للألفة والتحاض عليها، والتواصي بها، واجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم وأوهن منتهم، من تضاعن القلوب، وتشاحن الصدور وتدابر النفوس، وتخاذل الأيدي) (١)

فالاسلام يوازن بين الروح والجسم وهما وجود الانسان ككل و لا يفرق بين احد من البشر فهذه هي من الأسس و القواعد الأساسية للرسالة الإسلامية العالمية الدلالة.

٤- إن من الأسس العالمية للدين الإسلامي انه دين الكرامة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَكُم﴾ (٢)، فجاء في تفسير مجمع البيان روي إن رجلا سأل عيسى بن مريم: أي الناس أفضل؟ فأخذ قبضتين من تراب فقال: أي هاتين أفضل؟ الناس خلقوا من تراب، فأكرمهم أتقاهم (٤).

٤-١-٣-٢. الدين الإسلامي انذر ام القرى و العالمين جميعا

تبين آيات القرآن المختلفة بما لا يدع مجالاً للشك إن الإسلام دين عالمي، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْجِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (١): ﴿قُلْ

(١) مالكي، محمد العلوي، الإستشراق للسباعي، ص ٦.

(٢) سورة الأسراء: آية ٧٠

(٣) سورة الحجرات: آية ١٣

(٤) مالكي، محمد العلوي، الإستشراق للسباعي، ص ٦.

(٥) سورة التكوير: آية ٢٧

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴿٢﴾ وغيرها كثير في القرآن، وكلها تؤكد هذه الحقيقة، وإنه لما يثير الانتباه إن معظم هذه الآيات قد نزلت في مكة يوم لم يكن الإسلام قد تخطى حدود تلك المدينة، ولكن فيما يخص الآية التي نحن بصددنا: ﴿لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبِّبَ فِيهِ﴾^(٣)، يظهر لنا السؤال الآتي: إن الآية توجه الإنذار والهداية إلى أم القرى ومن حولها، فكيف ينسجم هذا مع القول بأن الإسلام عالمي الدلالة^(٤)؟ في الحقيقة أن هذا الاعتراض جاء على لسان اليهود وغيرهم من أتباع الأديان الأخرى ظانين أنهم قد أصابوا من عالمية الإسلام مقتلاً، باعتبار إن الآية تحدد مكانه بمنطقة خاصة هي مكة وأطرافها^(٥)، لا بدى لي من الأجابة على هذا الأشكال و لكي اكون منصف فيما انقل قد اجاب بعض الباحثين قبلي على هذا الأشكال و أنا اتمت عليه بعض الشيء، فنجد يتضح الجواب من هذا الاعتراض بالانتباه إلى نقطتين، بحيث ندرك أن هذه الآية، فضلا عن كونها لا تتعارض مع عالمية الإسلام، هي واحد من أدلة عالميته أيضا، فنجد القرية بلغة القرآن اسم لكل موضع يجتمع فيه الناس، سواء كان مدينة كبيرة أم قرية صغيرة، ففي سورة يوسف مثلا جاء على لسان اخوة يوسف يخاطبون أباهم: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا﴾^(٦)، ونحن نعلم أنهم كانوا قد رجعوا لتوهم من عاصمة مصر حيث حجز عزيز مصر أخاهم (بنيامين) كذلك نقرأ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٧)، فبينت كثير من الروايات إن الأرض اليابسة كان انشقاقها هو من تحت ارض الكعبة وهو ما أطلق عليه اسم "دحو الأرض"^(٨)، كما أننا نعلم أنه في البداية هطلت أمطار غزيرة فغطى الماء الكرة الأرضية برمتها، ثم غاض الماء شيئا فشيئا واستقر في المنخفضات، وظهرت اليابسة من

(١) سورة الأنعام: آية ١٩

(٢) سورة الأعراف: آية ١٥٨

(٣) سورة الشورى: آية ٧

(٤) الفاضل الهندي، كشف اللثام، ج ١٠، ص ٢٠.

(٥) رضا، محمد رشيد بن علي، المنار، ج ٧، ص ٦٢١.

(٦) سورة يوسف: آية ٨٢

(٧) سورة الأعراف: آية ٩٦

(٨) الشريف المرتضى، جمل العلم والعمل، ص ٩٦.

تحت الماء، وكانت مكة أول نقطة يابسة ظهرت من تحت الماء، حسب الأحاديث الإسلامية وكون مكة ليست أعلى مكان على الكرة الأرضية في الوقت الحاضر، لا يتعارض أبداً مع هذا القول، لأن مئات الملايين من السنين تفصلنا اليوم عن ذلك الزمان، وقد حدثت خلال ذلك تغيرات جغرافية بدلت وجه الأرض كلياً، فبعض الجبال هبطت إلى أعماق البحار، وبعض أعماق البحار ارتفع فصار جبلاً، وهذا ثابت في علم التضاريس الأرضية والجغرافية الطبيعية، فان كلمة " أم " تعني الأصل والأساس والمبدأ لكل شيء، من كل هذا يتبين أنه إذا أطلق مكة اسم " أم القرى " فذلك يستند إلى أنها كانت مبدأ ظهور اليابسة على الأرض، "ومن حولها " أي جميع الناس الذين يسكنون الأرض برمتها، وهذا ما تؤيده الآيات الأخرى التي تؤكد عالمية الاسلام، وكذلك الرسائل الكثيرة التي بعث بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى رؤساء العالم، مثل كسرى وقيصر.

٤-١-٣-٣. رسالة الدين الإسلامي رسالة عالمية

لا بدى لنا أن نرد على من أنكر أن يكون الدين الإسلام رسالة عالمية لكل الأجناس والأمصار ولجميع الناس، وزعم إنه موجه فقط لبلاد العرب؛ وساكنتها دون غيرها، فقد اتضح لنا من خلال ما تقدم إن فكرة عالمية الرسالة الإسلامية فكرة باطلة و إن الرسالة الإسلامية ليست عالمية الدلالة، فالرد على مثل هذه الإسقاطات والمزاعم، سيكون مزدوجاً و ذلك بأن نورد، دليلاً تاريخياً غير نقلي (لا من الكتاب ولا السنة) ثم نشفع ذلك بالأدلة القرآنية من الآيات الواضحة الدلالة مع بعض الآثار النبوية الموضحة لهذه القضية، فأما الدليل الأول على كون الرسالة الإسلامية رسالة عالمية، هو ما ثبت تاريخياً من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قام بعد صلح الحديبية^(١)، بإرسال كتب إلى أهم من كان في الجزيرة العربية وخارجها، من ملوك وحكام، يدعوهم فيها إلى الدين الاسلامي و لاتزال بعض هذه الكتب محفوظة في عصرنا هذا في بعض المتاحف مثل متحف (Tobkape) ^(٢) بتركيا، و إن من الأدلة على إن رسالة النبي محمد هي رسالة لكل القبائل و الأمم نجد إن النبي الكريم (صلى الله عليه و آله وسلم) إن ما أرسله به (صلى الله عليه و آله وسلم) إلى كل من قيصر الروم، وكسرى ملك فارس،

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ٨، ص ٩٨.

(٢) عرفان عبد الحميد، المستشرقون والاسلام، ص ١٦.

ونجاشي الحبشة، والمقوقس عظيم أقباط مصر في عصره^(١) اليس هذا شاهداً جلياً على عموم وعالمية الرسالة الإسلامية؟ اللهم بلى ومع هذا الدليل، وشهد شاهد من أهلها وهو المستشرق (توماس أرنولد) الذي ذكرنا قوله سابقاً بأن: "لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب، بل إن للعالم أجمع نصيب فيها، ودلل توماس على ذلك بإرسال الكتب الى ملوك العالم حينذاك"^(٢).

أما ما نُقل بالمأثور، أي ماورد من آي وأحاديث فيما يخص هذا المقام فنقول إن عماد الأدلة عندنا نحن المسلمين، هو ما يرد عندنا في كتاب الله أولاً، ثم ما يرد في سنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) من نقل صحيح، وهذان المصدران هما اللذان يحددان معالم وأحكام هذه القضية الرسالة عامة أم هي خاصة، وباستقراء أي القرآن المتعلقة بهذه القضية نجد أنها تتجه وبوضوح تام نحو توكيد عمومية الدعوة^(٣)، ومن هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا يَذْكُرِي لِلْعَالَمِينَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٥) جاء في زبدة التفاسير يعني للجن والإنس منذراً، أو إنذاراً، كالنكير بمعنى الإنكار^(٦)، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٧)، جاء في تفسير كنز الدقائق و بحر الرقائب (يعني بالقرآن، أو المعجزة)^(٨)، و قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٩)، جاء في كتاب البرهان في تفسير القرآن عن محمد بن علي ماجيلويه، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبي الحسن علي بن الحسين البرقي، عن عبد الله بن جبلة، عن معاوية بن عمار، عن الحسن بن عبد الله، عن أبيه، عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قال: "جاء نفر من اليهود إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا: يا محمد،

(١) عرفان عبد الحميد، المستشرقون والاسلام، ص ١٦.

(٢) الزياي، محمد، ظاهرة انتشار الإسلام، ص ٤٠.

(٣) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٨، ص ١١٢.

(٤) سورة الأنعام: آية ٩٠.

(٥) سورة الفرقان: آية ١.

(٦) مالكي، محمد العلوي، الإستشراق للسابعي، ص ٦.

(٧) سورة التوبة: آية ٣٣.

(٨) سورة الفرقان: آية ١.

(٩) سورة الأعراف: آية ٥٨.

أنت الذي تزعم أنك رسول الله، وأنت الذي يوحى إليك كما أوحى إلى موسى ابن عمران ؟ فسكت النبي (صلى الله عليه وآله) ساعة، ثم قال : نعم، أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبيين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين. قالوا : إلى من، إلى العرب أم إلى العجم، أم إلينا ؟ فأنزل الله عز وجل: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) ^(١)، و قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٢)، جاء في تفسير القمي قال حدثنا علي بن جعفر قال : حدثني محمد بن عبد الله الطائي قال حدثنا محمد بن أبي عمير قال حدثنا حفص الكناني قال (سمعت عبد الله بن بكير الدجاني قال قال لي الصادق جعفر بن محمد "عليه السلام" : أخبرني عن رسول الله "صلى الله عليه وآله" كان عاما للناس بشيرا أليس قد قال الله في محكم كتابه : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ)، لأهل الشرق والغرب وأهل السماء والأرض من الجن والإنس هل بلغ رسالته إليهم كلهم ؟ قلت : لا أدري، قال : يا بن بكير ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يخرج من المدينة فكيف بلغ أهل الشرق والغرب ؟ قلت : لا أدري، قال : إن الله تعالى أمر جبرئيل فاقتلع الأرض بريشة من جناحه ونصبها لمحمد (صلى الله عليه وآله) فكانت بين يديه مثل راحته في كفه ينظر إلى أهل الشرق والغرب ويخاطب كل قوم بألسنتهم ويدعوهم إلى الله وإلى نبوته بنفسه فما بقيت قرية ولا مدينة إلا ودعاهم النبي (صلى الله عليه وآله) بنفسه ^(٣)، هذه الآيات الدالة على عالمية الإسلام، يقابلها أدلة على أن ألفاظ القرآن الكريم واضحة محددة فعندما ذكر الأنبياء والمرسلين حدد أنهم لأقوامهم فقط ^(٤) مثل قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ ^(٥) كل هذه الآيات واضحة، إن الانبياء كل من نوحاً و شعبياً أرسل كل منهما إلى (قومه)، الأ محمد (صلى الله عليه و آله وسلم)، فرسالته انها رسالة (للعالمين)، فكيف فهؤلاء المستشرقون من فقه اللغة العربية فهل أن كلمة (عالمين) تعنى العرب فقط ^(٦)؟

(١) مالكي، محمد العلوي، الإستشراق للسابعي، ص ٦.

(٢) سورة سبأ: آية ٢٨

(٣) مالكي، محمد العلوي، الإستشراق للسابعي، ص ٦.

(٤) الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٤٢.

(٥) سورة الأعراف: آية ٥٩

(٦) أبو خليل، شوقي، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، ص ١٥٨ - ١٥٩.

أما الأدلة من السنة النبوية المطهرة فيضيق المقام لذكرها لكثرتها، فنقتصر على ذكر بعض منها قوله (صل الله عليه وآله وسلم) قال: (إن ديني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى)^(١) وقوله (صل الله عليه وآله وسلم) (أرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون)^(٢). كل هذا وغيره من الأدلة، لا تصمد أمامه افتراءات أو أغلاط المستشرقين الحاقدين على الشريعة الإسلامية.

٤-١-٣-٤. الدين الإسلامي عالمي الدلالة

إن آراء المنكرون لعالمية الرسالة الإسلامية جميعها ليس لها دليلاً يؤيدها، ولا حقيقة تثبتتها، فقولهم إن هذا الدين الجديد لم يهياً إلا لبلاد العرب قول مغاير للحقيقة، فتعاليم الرسالة الإسلامية ومبادئها وأهدافها التي أوردت بعضها منها أنفاً تدل على أنه الدين الإسلامي لأن أعتقه كل أفراد البشرية لوجدوا فيه من مساحة وسهولة تجعل الانسان ينعم بالسعادة في حياته وبعد مماته. وأما إنَّ النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) لم يوجه دعوته منذ أن بعث إلى أن مات إلا إلى للعرب وحدهم، فهذا قول تبطله السيرة النبوية التي تؤكد أن نبينا محمد (صل الله عليه وآله وسلم) قد أرسل الرسل ومعهم الكتب إلى زعماء وملوك البلاد المجاورة للجزيرة العربية يدعوهم فيها إلى الإسلام و يتوعدهم إن هم أن لم يتبعوا رسالته، وينفذوا شعوبهم من ضلال الشرك الذي يعيشون فيه فهم سوف يكونون في ظلال مبين، وفي ذلك دليل على أن الرسول محمد (صل الله عليه وآله وسلم) كان على يقين من إنَّ الرسالة الإسلامية ستعم جميع الأجناس، وأنها ليست مقصورة على الجنس العربي فحسب، وقد كان هذا القول في زمن لم يكن المسلمون يعلمون فيه شيئاً عما يتعلق بحياة الفتح و الغزو^(٣).

يتضح لي من خلال ما تقدم في هذا المبحث حينما دقت في اقوال المستشرقين وجدت ان المستشرقين المنكرون للإسلام ليست لهم أدلة قطعية تقوم على اصول عقائدية صحيحة الاعتبار.

(١) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ٢، ص ٧٩.

(٢) مسلم، أبو الحسين، صحيح مسلم، ج ١، ص ٣٧١.

(٣) ارنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ص ٤٨.

إنّ الذين يحاول التشكيك في صحة الرسائل التي أرسلها الرسول محمد (صل الله و آله و سلم) إلى الملوك، وذلك عن طريق حكايتها، وهم يتبع في ذلك الكثير من المستشرقين الذين لا يعترفون بصحة هذه الكتب، على إنها إن كانت هذه الكتب قد بدت في نظر من أرسلت اليهم ضربا من الخرق، فقد برهنت الأيام على أنها لم تكن صادرة عن من منهج رسالي رباني^(١).

هذا رأي من الآراء العلمية المحضة التي بُنيت في هذا الموضوع، ولئن لم نعتبر هذا رداً على أولئك المستشرقين الذين يرون أن الدين الاسلامي هو دين العرب، فان هناك الكثير من الباحثين المسلمين الذين ناقشوا آراء المستشرقين ومن ذلك ما رد به أغلبهم فقالوا: ومن الغريب أن يشك المستشرقين الحاقدين في صحة دعوى عمومية الرسالة الإسلامية، وأن يبني شكه هذا على إنَّ محمداً ما كان يعرف غير الجزيرة، وأنها كانت عالمه الذي لم يفكر في سواه، وأن هذا الدين لم يهياً إلا لتلك البلاد، و إنَّ محمداً منذ أن بعث إلى أن مات لم يوجه دعوته الا للعرب دون غيرهم، فهل خفيت على ذلك المؤرخ صلة قریش بدول ذلك العهد، وما أتاحتها لها التجارة من خبرة بشئون هذه الأمم وأحوالهم، و إنَّ محمداً(صل الله عليه و آله و سلم) بوجه خاص قد سافر غير مرة للتجارة ببلاد الشام.

و إنَّ من الردود التي احب ان اقف عليها هو إن محمداً(صل الله عليه و آله و سلم) لم يوجه دعوته منذ أن بعث إلى أن مات إلا إلى العرب وحدهم، فهذا قول تبطله السيرة النبوية التي تؤكد إنَّ نبينا (صل الله عليه و آله و سلم) قد أرسل الرسل ومعهم الكتب الى زعماء وملوك البلاد المجاورة للجزيرة العربية يدعوهم فيها إلى الاسلام ويتوعدهم إن هم لم يتبعوا رسالته، وينقذوا شعوبهم من ضلال الشرك الذي يعيشون فيه، وما يبطل قول الحاقدين أيضا ما روى أن رسول الله (صل الله عليه و آله و سلم) قال متنبئاً: (إن بلائاً أول ثار الحبشة، وإن صهيبا أول ثار الروم) ، وفي ذلك دليل على أن الرسول (صل الله عليه و آله و سلم) كان على يقين من أن الرسالة الاسلامية ستعم جميع الأجناس، وأنها ليست مقصورة على الجنس العربي فحسب.

(١)المصدر نفسه، ص٤٨

٤-١-٣-٥. احياء النفس في الإسلام

إن الله تبارك وتعالى ميز الانسان بما لم يميز به كثيراً من خلقه، فلقد منح الله الانسان العقل الذي يستطيع به أن يعرف الخير من الشر والحق من الباطل^(١)، ثم سخر له هذا الكون كله تقريباً، ولم يدعه مع هذا لنفسه الأمانة بالسوء، فقد أرسل اليه رسلاً مبشرين ومنذرين، وكان محمد هو خاتم^(٢) هؤلاء النبيين، وكان القرآن الكريم هو آخر رسالة ربانية الى الإنسان حتى تقوم الساعة^(٣).

فيما إنَّ الناس أمة واحدة مهما تنوعت ألسنتهم وألوانهم، فإنَّ حماية الانسان في كل مكان على ظهر سطح الكرة الأرضية مسئولية الناس جميعاً، ويعد الإعتداء على فرد واحد إعتداءً على البشر كاهم، كما يعد احياء نفس واحدة أحياءً للناس جميعاً^(٤)، وهذا يؤكد المسئولية الجسيمة الملقاة على عاتق الناس من أجل حماية الانسان ودفع الظلم عنه كما قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلٍ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٥).

فهذه الآية تقرر في جلاء ما يجب على المجتمع الإنساني من العمل على حماية الأنفس ودفع العدوان عنها، وإذا كانت الآية تتحدث عن بني اسرائيل فحكمها ماضٍ الى يوم القيامة، لأن كل ما جاء في كتاب الله ولو كان على سبيل الحكاية والاختبار عن السابقين هو تشريع للمسلمين إلى يوم الدين، لذا قال ابن المبارك عن سلام ابن مسكين عن سلمان بن علي الربيعي قال : قلت للحسن : هذه الآية لنا يا أبا سعيد كما كانت لبني اسرائيل فقال : أي والذي لا اله غيره كما^(٦).

وقد بينت آيات الكتاب العزيز إن الناس جميعاً خُلِقوا من نفس واحدة و إنَّ مصيرهم إلى الله^(٧)، وهذا يعني إنهم كافة سواء في الحقوق والواجبات، وأنه لا تفاضل بين شعب وآخر أو قبيلة وأخرى الا

(١) البحراني، هاشم، حلية الأبرار، ج ٢، ص ٣١٣.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ٢، ص ١٩٧.

(٣) الشيرازي، محمد الحسيني، فقه العولمة، ص ١١.

(٤) التستري، محمد تقي، النجعة في شرح اللمعة، ج ١١، ص ٢٧٤.

(٥) سورة المائدة: آية ٣٢

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج ٢، ص ٥٥٣.

(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٥٣.

بالتقوى والعمل الصالح، فلا عنصرية ولا فضل الجنس على آخر باللون والمال والجاه ونحو ذلك بالفضل يكون بالتقوى و العبودية و التسليم لله رب العالمين ^(١) لذا يجب على المسلمين ان يتبعوا ما أمرهم به الدين الأسلام من الحفاظ على النفس و عدم ايدائها.

فإن للإسلام يقيم أهمية خاصة للنفس الإنسانية، فهو يحرم ازهاق الأرواح تحريماً قاطعاً إلا إذا كان هناك سبب موجب للقتل ^(٢) كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ ^(٣)، إنها إذن جريمة كبيرة تلك التي يتوعد الله فيها القاتل بالغضب واللعنة والعذاب العظيم.

هذا يدل على إنَّ الله سبحانه و تعالى بين من خلال ارسال الأنبياء و المرسلين إنَّ الانسان اشرف و اكرم المخلوقات التي خلقات الله سبحانه و تعالى و هذا ما اكدت عليه الرسالة الإسلامية

٤-١-٣-٦. الجهاد في سبيل الله جوهرة من جواهر الحياة

إن الجهاد في المفهوم الاسلامي وسيلة من وسائل تمكين الإنسان من العيش حراً كريماً يتمتع بآرادة كاملة ومسؤولية مطلقة، وإذا فقد الانسان حريته وارادته فقد فقد كل معاني الحياة، وأصبح مهاناً في وجوده، لا يختلف كثيراً عن الحيوان فهو مسخر لسواه يعمل وفق مشيئته، ولا يملك حق العصيان أو الاعتراض، فأبي تكريم و حماية للإنسان أولى من هذا التكريم، والتاريخ يؤكد ما سبقت الإشارة اليه، فإنَّ المجاهدين ما بذلوا أرواحهم إلا لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ^(٤)، ففي المدينة وبعد الهجرة بنحو عام أذن للمؤمنين بالقتال دفاعاً للظلم و استحقاقاً للعدل اذ قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ^(٥).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص ٥٥٣.

(٢) الجزيري، الغروي، مازح، الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت (ع)، ج ٥، ص ١٢١.

(٣) سورة الأسراء: آية ٣٣

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٩، ص ٦٣.

(٥) سورة الحج: آية ٣٩-٤٠

فبين الرازي في تفسيره لهذه الآية فقال: (المراد أنهم أذنوا في القتال بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله ومن بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم أؤمر بقتال حتى هاجرة فأنزل الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية) (١).

ويقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: (لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء، لستولى أهل الشرك وعطلوا ما بنته أرباب الديانات من مواضع العبادات ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة، فالجهاد يرفع الظلم و يبسط العدل و المساواة، ولولا القتال والجهاد لتغلب على الحق و ظهر الباطل) (٢).

إنَّ المسلمين ظلموا واضطهدوا وأبعدوا عن ديارهم وسلبت أموالهم دون أن يرتكبوا ما يوجب ذلك، فهم لم يفعلوا شيئا سوى أنهم قالوا ربنا الله، فهل يرى بعد ذلك أي انسان له ذرة من العقل غضاضة في أن يحمل المسلمون سيوفهم ويدفعوا الظلم الذي لحق بهم، إن كل الشرائع والأديان والقوانين العرفية والأخلاقية لا تتكر على الإنسان أن يدافع عن نفسه (٣).

لذا فان الطابع الدفاعي لغزوات الرسول محمد (صل الله عليه و آله و سلم) كان الأذن بالقتال في بادئ الأمر لسبب رد الظلم والدفاع عن النفس، فأننا نجد إن الطابع العام لغزوات النبي (صل الله عليه و آله و سلم) المشهورة كان دفاعاً عن النفس وليس اعتداءً عليها، فالرسول محمد (صل الله عليه و آله و سلم) لم يكن خرجة في معركة بدر يريد الاستيلاء على أموال قريش نظير أموال المسلمين التي سلبت منهم في مكة، فإنَّ الرسول محمد (صل الله عليه و آله و سلم) لم يكن يريد قتالا ولكنه فوجيء بأن قريشا خرجت بكل ما لها من قوة تريد أن تسكت أي صوت يعلو على صوتها فكان لا بد للنبي (صل الله عليه وآله) من الدفاع عن الدين الإسلامي ورد المعتدين (٤).

(١) الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، ج٦، ص١٦٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج١٧، ص٢٢٩.

(٣) القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص١١١.

(٤) الشاهرودي، علي النماز، مستدرك سفينة البحار، ج٨، ص٥٢٢.

وفي معركة أحد أراد المشركون أن يشاروا اليهم و يأخذوا بثأر دم قتلاهم في معركة بدر فاستجلبوا من استطاعوا من العرب وخرجوا يريدون غزو المسلمين، وقد فكر النبي (صل الله عليه و آله وسلم) في أمرهم فأمر أصحابه في بادئ الأمر بعدم الخروج، ولكن تحت الحاح أصحابه أذن لهم في ملاقاته عدوهم والدفاع عن أرضهم خارج المدينة لا داخلها^(١)، وفي غزوة الخندق تظاهرت قوى الشرك في الجزيرة مع اليهود على ضرب المسلمين ضربة قاصمة في المدينة، ولجأ هؤلاء أمام هذه القوى الباغية إلى حفر الخندق^(٢) دفاعاً عن مدينتهم، وذوداً عن أموالهم وأعراضهم^(٣)، وكان فتح مكة نتيجة غدر المشركين ونقضهم للعهد حين اعتدوا على قبيلة من القبائل التي حالفت المسلمين^(٤)، ولا شك إنَّ كل القوانين والأعراف تعطي الحق للحليف في نصرته حليفه.

هذا يدلنا على إنَّ حين الحديث عن فتح مكة لا يفوتني أن أشير إلى أن ما فعله النبي (صل الله عليه و آله وسلم) وأصحابه في مكة يعد وحده أكبر وأقوى شاهد على ابتعاد المسلمين عن سفك الدماء و يثبت للبشرية مدى حرص المسلمين على السلام، ومدى تقديرهم لقيمة النفس البشرية، فماذا يتوقع المرء من النبي (صل الله عليه و آله وسلم) أن يفعل بقريش التي أهانتة وعذبتة و شردته هو وأصحابه من موطنهم، و ماذا يمكن أن يفعل بهم وقد جاءه الوقت الذي أصبح فيه قادراً عليهم؟ لا شيء يمكن أن يجاب به سوى إنهم شعب يجب أن يسحق نهائياً جزاء ما فعله ضد الدعوة الإسلامية ومعتقياها، ولكن التفكير النبوي كان أسمى من ذلك بكثير، كان تفكيره ينبع من هدى الاسلام وتعاليمه^(٥)، كان تفكيراً يمقت القتل وسفك الدماء و يجنح الى السلام و الأمن^(٦).

وإذا انتقلنا الى مجابهة الرسول (صل الله عليه و آله وسلم) لليهود فإننا نجدها كلها كانت بسبب غدر اليهود ونقضهم للعهود والمواثيق التي أبرموها مع المسلمين، وكانت أيضاً بسبب المكاييد التي دبروها للنبي (صل الله عليه و آله وسلم) وأصحابه، ولكن مع كل ما أظهره اليهود من كيد و غدر

(١) العسقلاني، احمد بن علي بن محمد، فتح الباري، ج ٨، ص ١٩٥.

(٢) البيهقي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، ج ١، ص ٧٠١.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٠١.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف، ج ٥، ص ٩.

(٥) علي، عبد الله محمد، معجم المؤلفات الإسلامية في الرد على الفرقة الوهابية، ص ٧.

(٦) إعداد مركز المعجم الفقهي، المصطلحات، ص ١٣٨١.

للنبي (صل الله عليه و آله وسلم) فقد كان يرفق بهم ويتسامح معهم اذا انقضوا عهده أو حاربهم فانتصر عليهم، وكان (صل الله عليه و آله وسلم) لا يعاقبهم الا بمقدار ما يكف أيديهم عنه وكان يحكم فيهم عنجما يختارونه حكماً بينهم، وكانت معاملته لليهود أيسر وأخف من معاملته قريشا وغيرها لهم^(١).

ولم تكن غزوات الرسول ضد الروم ومن تابعهم من العرب تختلف عن سابقتها من الغزوات، فغزوة مؤتة كانت بسبب إعتداء ملك الغساسنة الحرث بن أبي شمر الغساني على رسول الله و حين أتاه يدعو إلى الإسلام، وهو بلا شك انتهاك واضح للعرف الدولي، فالرسل لا تقتل مهما كانت الأسباب، ولكن ملك الغساسنة^(٢) تجاهل ذلك المبدأ وقتل رسول الله (صل الله عليه و آله و سلم)، فما كان من المسلمين إلا أن جهزوا جيشاً للقصاص من ذلك الذي لم يحترم هذا العرف الانساني والذي أظهر إستعداداً لغزو المسلمين في عقر دارهم، وكانت مجابهة المسلمين للروم في تبوك نتيجة ما سمعه المسلمون من تجمع الروم وبعض القبائل العربية على حدود فلسطين، وعقد نيتهم لغزو المسلمين في عقر دارهم^(٣).

فإن المسلمين ظلموا واضطهدوا و أبعدوا عن ديارهم وسلبت أموالهم دون أن يرتكبوا ما يوجب ذلك، فهم لم يفعلوا شيئاً سوى أنهم قالوا ربنا الله، فهل يرى بعد ذلك أي انسان له ذرة من العقل غضاضة في أن يحمل المسلمون سيوفهم ويدفعوا الظلم الذي لحق بهم، إن كل الشرائع والأديان والقوانين العرفية والأخلاقية لا تنكر على الانسان أن يدافع عن نفسه، ولقد خلق الله لكل نوع من أنواع المخلوقات وسيلة يدافع بها عن نفسه، فكيف اذا ننكر على هؤلاء دفاعهم المشروع عن أنفسهم ونقول أنهم قتلة و سفكة دماء^(٤).

إن منطلق المسلمين في الحروب فهو المنطق الذي ينبثق من دينهم دين الاخاء والمساواة والحق والعدل واحترام آدمية الانسان، فهم كانوا في حروبهم أبعد الناس عن ممارسة العنف والابادة، لأن

(١) المصرية، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام، ص ١٢.

(٢) المصرية، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام، ص ١٢.

(٣) السبحاني، مفاهيم القرآن (العدل والإمامة)، ج ١٠، ص ٩١.

(٤) المرتضى، أحمد، شرح الأزهار، ج ٤، ص ٤١٢.

الديانة الحقيقية لا تأمر أتباعها بالتشفي والانتقام بل تأمرهم بأن يدافعوا عن أنفسهم وينتصروا لمبادئهم دون أن يخرجوا عن حدود انسانياتهم، وهكذا يرسم الاسلام لأتباعه الهدف من القتال وهو أن يكون في سبيل الله، ويبين لهم الطريقة المثلى لتحقيق ذلك الهدف وهي أن يقاتلوا الذين اشتركوا في الحرب فقط ولا يتجاوزوا ذلك لأن في تجاوزهم وقتالهم لمن لم يرفع السلاح ويشترك في المعركة فهو اعتداءً، وهو ما نهى عنه القرآن الكريم حين قال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١)، فالتاريخ الاسلامي مليء بالصور الرائعة الأخلاقية في الحروب وهي صور تتجلى فيها الانسانية بكل معانيها والرحمة بكل صورها، وكانت تلك الصور سبباً قوياً من الأسباب الكثيرة التي جعلت الشعوب تقبل أفواجا على اعتناق الاسلام، وإن الله سبحانه بيّن انه لا إكراه في الدين الإسلامي كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٢)، فيقول ابن كثير في تفسيره للآية أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الاسلام فانه بين واضح جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة وهدى^(٣)، وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٤)، فجاء في تفسير نور الثقلين قال: (ادعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن يعني بالقرآن)^(٥)، و قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٦) فجاء في تفسير مجمع البيان (قل) يا محمد مخاطباً للمكلفين: (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن، ودين الاسلام^(٧)

يتضح لنا مما تقدم إن إنتشار الاسلام بالحجة والاقناع قول تدعمه ادلة كثيرة، منها ما تقدم ذكره و سوف نذكر أغلب البلدان التي تنورة بنور الإسلام تلك البلدان التي لم تشهد حروباً ولا غزوات ولكن

(١) سورة البقرة: آية ١٩٠

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٦

(٣) سيد قطب، السلام العالمي والاسلام، ص ١٥٩.

(٤) سورة النحل: آية ١٢٥

(٥) سورة النحل: آية ١٢٥

(٦) سورة الكهف: آية ٢٩

(٧) مالكي، محمد العلوي، الإستشراق للسباعي، ص ٦.

شهدت نشاطاً مكثفاً من جانب الدعاة المسلمين الذين وهبوا أنفسهم وما يملكون في سبيل الله، يبلغون دعوة نبيهم ورسالة ربهم الى جميع شعوب الأرض، متخذين من مبادئ دينهم السامية، وسلوكهم وتصرفاتهم النبيلة الوسيلة الوحيدة لاقتناع الآخرين بصدق دعوتهم وزيف ما عداها من دعوات الأخرى^(١).

٤-١-٤ . انتشار الإسلام في افريقيا

إنَّ الدين الاسلامي أوسع ركعة نشوره في اغلب بقاع الكرة الأرضية حتى وصل به المقام الى افريقيا قد شق طريقه إلى وسط وجنوب القارة الأفريقية السمراء بجهود بسيطة وسهلة، إعتمدت على التجار المسلمين الذين أخرجتهم ظروف العيش الى دخول هذه البلاد، وقد رأى كبار المسيحيين في تصرفات هؤلاء التجار وسلوكهم الشخصي القدوة الحسنة التي أفنعتهم بصحة هذه الرسالة التي لا تقيم وزناً للون أو جنس أو جاه، بقدر ما تقيم وزناً لطاعة الله وتوحيده وحسن معاملة الآخرين، وقد التمس المستشرقين انه ديناً ينهي عن التفرقة العنصرية وينهي عن الزنا وشرب الخمر وأكل لحوم البشر، ويأمر بالصلاة والصدقات ومساعدة المحتاجين، ومن هنا أقبل الأفارقة على الدخول في الدين الاسلامي دون أن تكرههم سيوف المسلمين أو تخيفهم سلطتهم، فيقول المستشرق الرحالة (جوزيف تومسون)^(٢) في تقرير له نشرته في ١٤ / ١١ / ١٨٨٧ م عند حديثه عن انتشار الاسلام في افريقيا: (إذا بلغنا غربي افريقيا والسودان نجد الاسلام كجسم قوي تدب فيه روح الحياة والنشاط، وتتحرك فيه عوامل الحراسة والاقدام والنشاط كما كان في أيامه الأولى، فترى الناس تدخل فيه أفواجاً أفواجاً وتقبل عليه باقبال عجيب شبه أيامه السالفة)^(٣).

وقد كانت أعظم فتوحات الاسلام في أواسط السودان وغربه كانت على يد جماعة منخفضة الجناح، وفي الأزمان الحاضرة كان القائم بأمره تاجراً ذا همة واقدام^(٤)، كان يجهد نفسه لنشر لواء

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٨.

(٢) جوزيف تومسون هو عالم فيزياء شهير.

(٣) الجندي، أنور، الاسلام يزحف بقوة الذات في افريقيا، عدد ٤، ص ١٢٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

ديانته من بحيرة تشاد^(١) الى الأقيانوس الأطلانتيكي^(٢)، ونتج عن ذلك أن أشرقت شمس الاسلام في سماء هذه الجهة بأجمعها^(٣).

و إنَّ التجار لم يكونوا وحدهم في ميدان الدعوة الاسلامية بل كان يساندهم في جهودهم هذه جهود أخرى تمثلت في تلك الطرق الصوفية الكثيرة التي انتشرت في أرجاء اغلب قارة العالم، وأسست لها مراكزاً وزوايا لنشر الاسلام وشرح تعاليمه وتعليم القرآن واللغة العربية، وكان منهم من استطاع الذهاب إلى الأزهر حيث تعلم القرآن واللغة العربية وعلوم الدين وأهم الفرق الصوفية التي كانت أحد العوامل المهمة في انتشار الدين الاسلامي القادرية في القرن السادس الهجري^(٤)

التي كان يتزعمها عبد القادر الجيلاني^(٥)، والتي أسست لها مراكز في غينيا والسودان الغربي^(٦)، واتخذت من مدينة فاس بالمغرب مركزاً لنشاطها إلى جانب المراكز الأخرى التي انتشرت في أرجاء أخرى من القارة^(٧)، وهاتان الفرقتان كان لها دور كبير وبارز في نشر الاسلام بين الأفريقيين بطرق سلمية بحتة و باقناعهم بالحجج والبراهين، ولعله من المفيد لطبيعة هذا البحث أن أعدد آراء الغربيين التي تشكك في عملية انتشار الاسلام السريع بآراء غربية مسيحية أخرى لم تجد مناصاً من اظهار الحقيقة وابرار الأحداث كما هي، فها هو الكاتب المسيحي الفرنسي (هوبير ديشان)^(٨) حاكم

(١) بحيرة تشاد هي ذات أهمية اقتصادية، حيث توفر المياه لأكثر من ٣٠ مليون شخص يعيشون في البلدان الأربعة المحيطة بها (تشاد والكاميرون والنيجر ونيجيريا).
(٢) منطقة جغرافية تشمل أستراليا وميلانيزيا وميكرونيسيا وبولنيزيا، تمتد أوقيانوسيا عبر نصفي الكرة الشرقي والغربي وتبلغ مساحتها ٨,٥٢٥,٩٨٩ كيلومتر مربع (٣,٢٩١,٩٠٣ ميل مربع) ويبلغ عدد سكانها أكثر من ٤١ مليون نسمة، تُعد أوقيانوسيا، بالمقارنة مع القارات، الأصغر من حيث المساحة، وثاني أصغر منطقة من حيث عدد السكان بعد أنتاركتيكا.

(٣) الجندي، أنور، الإسلام يزحف بقوة الذات في افريقيا، ص ٢٢.

(٤) الزيايدي، محمد فتح الله، ظهرت انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ص ٢٢٠.

(٥) عبد القادر الجيلي أو الجيلاني أو الكيلاني هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله، يعرف ويلقب في التراث المغربي بالشيخ بوعلام الجيلاني، وبالمشرق عبد القادر الجيلاني، ويعرف أيضا ب"سلطان الأولياء"، وهو إمام صوفي وفقه حنبلي شافعي) لقيه أتباعه ب"باز الله الأشهب" و"تاج العارفين" و"محيي الدين" و"قطب بغداد" وإليه تنتسب الطريقة القادرية الصوفية.

(٦) الزيايدي، محمد فتح الله، ظهرت انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ص ٢٢٠.

(٧) ابراهيم، حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص ٤٢.

(٨) هوبير ديشان(Hubert Deschamps) هو ممثل، من فرنسا، ولد في باريس، وتوفي في باريس، عن عمر يناهز ٧٥ عاماً بسبب نوبة قلبية.

المستعمرات الفرنسية بأفريقية حتى سنة (١٩٥٠م) يقول: (إنَّ أساس دعوة الدين الإسلامي على أساس الاقناع و ان الاسلام كثيرا ما انتشر بالاسلام بالطيبي السلمي البطيء من قوم إلى قوم، فكان إذا ما اعتنقته الأرستقراطية وهي هدف الدعاة الأول تبعتها بقية القبيلة، وقد يسر انتشار الاسلام امر اخر هو أنه دين فطرة بطبيعته، سهل التناول، ولا لبس ولا تعقيد في مبادئه، سهل التكيف والتطبيق في مختلف الظروف) (١).

اذن إنَّ انتشار الاسلام في افريقيا كان في نطاق واسع في قارة افريقيا على اسس علمية و هذا ما اكده بعض المستشرقين كما تقدم ذكر بعض منهم.

الخاتمة

إنَّ الله تعالى جعل الدين الإسلامي بلاغ للناس كما قال تعالى: ﴿هُذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢) وعلى هذا الذي تقدم، فإنَّ هناك نظام عالمي يقود العالم إلى الهداية والعدالة والصلاح فهو الدين الإسلامي (٣) الذي تقدمت الأدلة على عالميته، أما النظام الذي يدعي العالمية ويفرضها بالقوة من دون دليل واحد على عالميته الصالحة للعالم والهادية لهذا العالم المتمسك بالمادية، بل النظام الذي يصرح بماديته ويحارب من أجلها لا يمكنه أن يكون نظاماً عالمياً صالحاً و عادلاً ولأن وصل إلى غايته بالقوة والارهاب فلا يستقر حتى يزول ويحكم على نفسه بالفناء والاندثار ويبقى يلاحقه التاريخ باللعنة والعار (٤).

و بالتالي إنَّ قسم من المستشرقين ينادي بالعقل كطريقة للتفكير وجعله مقياساً للحقيقة، فحسروا بحوثهم في النطاق العقلي، وطلبوا من العقل أن يزودهم بالحقائق والمعلومات حتى في المجالات التي ليست من حقه كما في المقولة المتسائلة « بأن الجسم مؤلف من ذرات أم لا » وانقسموا إلى قسمين

(١) شبلي، احمد، الاسلام، ص ١٩٨.

(٢) سورة إبراهيم: آية ٣٢

(٣) الحلبي، أبو الصلاح، الكافي في الفقه، ص ٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٥.

إتصاليين وإنفصاليين، ولكن هيهات أن يتمكنوا من الوصول إلى الحقيقة لأن هذا ليس من مجالات العقل بل هو من مجالات التجربة، فلو تركوا هذا البحث للتجربة ثم رجعوا إلى العقل كمفسر نهائي لظواهر التجربة فهو أفضل من جدلهم العقلي، كما أننا لو تنازعنا في إنَّ هذا الحوض هل فيه ماء أم لا فلا تصل إلى نتيجة من طريق العقل بل لا بدَّ من الاتجاه إلى التجربة في حلّ النزاع هذا ليس إلا، وقسم ينادي بالتجربة كطريقة للتفكير وللوصول إلى الحقيقة، فقد أمن هؤلاء لسلطان التجربة وقدرتها على اكتشاف الحقائق، فبعض المستشرقين أنكروا أيّ شيء مرتبط بالعقل، بل أنكروا العقل أيضاً لأنه لم يثبت بالتجربة شيء اسمه العقل..



المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم
٢. ابراهيم، حسن، انتشار الاسلام في القارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط ٢، ١٩٦٣م.
٣. إبراهيم، محمد إسماعيل، القرآن وإعجازه العلمي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم-إيران، ١٩٩٠م.
٤. الإبراهيمي، عبد الجواد، نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية، دار الغدير، قم - إيران، ١٩٩٤م.
٥. ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين علي بن علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، دار الغدير، بيروت-لبنان، ١٩٩٣م.
٦. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، كشف المشكل من حديث الصحيحين، دار المعارف، بيروت-لبنان، ط ١، ١٩٩٠م.
٧. ابن تيمية، تقي الدين، الإيمان، دار المعارف، بيروت-لبنان، ١٩٩٠م.
٨. ابن حنبل، احمد بن محمد، مسند احمد بن حنبل، دار الهدى، بيروت-لبنان، ١٩٩٧م.
٩. ابن زهرة الحلبي، عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي الحسيني، غنية النزوع، دار المعارف، بيروت-لبنان، ١٤١٧هـ.
١٠. ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر الناصري التميمي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الثقليين، بيروت-لبنان، ١٩٩٥م.
١١. ابن سعدي، عبد الرحمن، وجهوده في توضيح العقيدة، دار الغدير، بيروت-لبنان، ١٩٩١م.
١٢. ابن صالح، عبد الرحمن، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، المعارف الإسلامية، الرياض-السعودية، ١٩٩٨م.
١٣. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار الهدى، بيروت-لبنان، ١٩٩٥م.
١٤. ابن عربي، محيي الدين، فصوص الحكم، دار الهدى، بيروت-لبنان، ١٩٩٥م.

١٥. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة من حياة المستبصرين، قم - إيران، ١٩٩٠م.
١٦. ابن فارس، أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، دار الغدير، بيروت-لبنان، ١٩٩٠م.
١٧. ابن قدامة، عبد الرحمن، الشرح الكبير، دار الغدير، بيروت-لبنان، ١٩٩٠م.
١٨. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٠م.
١٩. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الغدير، بيروت-لبنان، ١٩٩٠م.
٢٠. أبو خليل، شوقي، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ليبيا، ١٩٩١م.
٢١. أبو خليل، شوقي، الإسلام في قفص الاتهام، دار الغدير، بيروت-لبنان، ١٩٩١م.
٢٢. أبو رية، محمود، أضواء على السنة المحمدية، دار الهدى، بيروت-لبنان، ١٩٩٠م.
٢٣. أبو صفط، محمد، الانزلاقات الارضية. مجلة ابحاث اليرموك، دار الغدير، بيروت-لبنان، ٢٠٠٢م.
٢٤. أبو عبد الله، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الغدير، بيروت-لبنان، ١٩٩١م.
٢٥. أجناس، كولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، دار الهدى، بيروت-لبنان، ١٩٩١م.
٢٦. إحسان، عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الغدير، بيروت-لبنان، ١٩٩٠م.
٢٧. الأحسائي، عبد الرحمن بن جبرين عبد الله، الرد على الفتوى عبد الرحمن بن جبرين، دار الثقلين، بيروت-لبنان، ٢٠٠٥م.
٢٨. الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان - شرح إرشاد الأذهان، مؤسسة النشر الإسلامي، قم-إيران، ط١، ١٩٩١م.
٢٩. البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخارى مع فتح البارى، دار الهدى، بيروت-لبنان، ١٩٩٣م.
٣٠. الجهني، محمد بن عبد الرحمن، معنى الربوبية وادالتها واحكامها وابطال الإحاد فيها، دار المعارف، بيروت-لبنان، ١٩٩٤م.
٣١. الجواهري، حسن، بحوث في الفقه المعاصر، دار المعارف، قم-إيران، ١٩٩٣م.

٣٢. حاجي خليفة، كشف الظنون، دار الثقلين، بيروت-لبنان، ١٩٩٥م.
٣٣. حتى، فيليب، تاريخ العرب، دار الهدى، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م.
٣٤. الحر العاملي، محمد بن الحسن، الفوائد الطوسية، المطبعة العلمية، قم - إيران، شعبان ١٤٠٣ هـ.
٣٥. حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، مكتبة النهضة -المصرية، ١٩٧٥م.
٣٦. مغنية، محمد جواد، هذي هي الوهابية، دار الغدير، بيروت-لبنان، ١٩٩٨م.
٣٧. المنتظري، حسين علي، نظام الحكم في الإسلام، دار المعارف، قم-إيران، ١٩٩١م.
٣٨. المنجد، محمد صالح، موقع الإسلام سؤال وجواب، دار المعارف، بيروت-لبنان، ١٩٩٤م.
٣٩. منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، ١٩٩٠م.
٤٠. المودودي، ابو علي، مبادئ الإسلام، دار الهدى، بيروت-لبنان، ١٩٩٠م.
٤١. موسى، محمد يوسف، التشريع الإسلامي وأثره في التشريع الغربي، دار الغدير، بيروت-لبنان، ١٩٩١م.
٤٢. الميداني، عبد الرحمن، كتاب أجنحة المكر الثلاثة، دار المعارف، بيروت-لبنان، ١٩٩١م.
٤٣. النمازي الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم-إيران، ط١، ١٤١٩ هـ.
٤٤. النملة، علي إبراهيم، الإستشراق في الأدبيات العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٥٢م.
٤٥. النووي، يحيى بن ابي يحيى، المجموع، دار الغدير، بيروت-لبنان، ١٩٩٣م.